الهلال

يوليه ٢٠٠٠ ● الثمن جنيهان

أحوال مصر مع مطلع القرن العشرين

أصل الإنسان بين داروين وعبد الصبور

القصة الكاملة ليهود الجزائر

أزمة اليسار المصرى

هـــذا
العـــدد

تصميم الغلاف
للفنان
محمد أبوطالب

فكر وثقافة

- القصة الكاملة ليهود الجزائر ..... مصطفي نبيل ٨
- أين المقال الأدبي الذاتي ؟..... د . محمد رجب البيومي ١٦
- شهر يوليو في أواخر القرن ..... عبد الرحمن شاكر ٢٧
- تهويد العالم في الخيال الاسرائيلي ..... جميل مطر ٣٢
- الحركة الصهيونية خلال القرن العشرين ..... د . عادل غنيم ٤٢
- أحوال مصر في مطلع القرن العشرين ..... د . فتحي صالح ٧٤
- أصل الانسان بين داروين وعبد الصبور.. حوار وتعليق حول اصل الانسان كما جاء في كتاب «أبي آدم» ..... د . محمد بلتاجى ٩٢
- الابتلاء بالكتابة ..... صافي ناز كاظم ١٠٢
- غدا سأبدأ ..... حسن سليمان ١٠٦
- لطيفة الزيات . شجرة العشق ! ..... مها محمود صالح ١١٠
- أحمد بخيت . صوت شعري يجمع بين التراث والرؤية الحداثية ..... محمد ابراهيم أبو سنة ١١٤
- تجديد الشعر ..... أحمد حسين الطماوي ١١٨
- «من أين ؟» عمل مجهول لفتحي غانم..... د . فهمى عبد السلام ١٤٨
- « هيرمان هسة» ونماذج من فكره ..... د . السيد أمين شلبي ١٥٧
- كتاب جديد: نكروما مات مسموما ..... عايدة العزب موسى ١٦٤

أحوال مصر في مطلع القرن العشرين

بقلم:
د. فتحي صالح

محطة مصر فى أوائل عام ١٩٠٠م وترى وسائل المواصلات السائدة .. الترام وعربات الكارو

قامت الحملة الفرنسية فى أوائل القرن التاسع عشر بنشر مؤلف ضخم ظهر فى عدة مجلدات تحت عنوان «وصف مصر» قدمت فيه ما يزيد عن ثمانمائة لوحة ليتوجرافية، مقسمة إلى ثلاث مجموعات تمثل أوجه الحياة المختلفة فى مصر: المجموعة الأولى تمثل مصر القديمة وتحتوى على لوحات للآثار الفرعونية على امتداد الوادى، والمجموعة الثانية تمثل مصر المعاصرة (لتلك الفترة) بما فيه تصوير للأماكن العامة والخاصة والحياة اليومية والحرف والمهن المختلفة، أما المجموعة الثالثة فتمثل الحياة الطبيعية فى مصر من حيوانات وطيور وزواحف ونباتات. ويعتبر هذا الكتاب بحق من أعظم الكتب التى ظهرت فى القرن التاسع عشر ويعتبر عملا فريدا فى توصيف بلد كمصر لم يتم مثيل له فى أى دولة أخرى.

وجبة غداء فى أحد أزقة القاهرة

وفى خلال عمل كاتب هذه السطور فى باريس كسفير لمصر باليونسكو تم العثور على مجموعة من البطاقات البريدية (كروت بوستال) بقسم الآثار المصرية بمتحف اللوفر - كانت تقتنيها سيدة فرنسية تعيش فى مصر فى أوائل القرن العشرين - يبلغ عددها حوالى ١٤٠٠ كارت، لها نفس خصوصية كتاب وصف مصر من حيث أنها تقدم توصيفا مصورا لجوانب الحياة المختلفة فى مصر فى تلك الفترة، كما تصور ما كانت عليه الأماكن العامة والمواقع الأثرية سواء الفرعونية أو الإسلامية أو القبطية، مما بعث فى خلده فكرة إنتاج أسطوانة ضوئية (سى - دى - روم) تقوم على هذه المجموعة، فتم عرض الموضوع على فيدريكو مايور مدير عام اليونسكو آنذاك الذى وافق على الفور بأن يقوم مشروع «ذاكرة العالم» باليونسكو بإنتاج هذه الأسطوانة وأن تضاف هذه الأسطوانة إلى «قائمة ذاكرة العالم» فكان إنتاج هذا العمل.

قصة العائلة ديراسي

أهدى السيد هنرى بونينى مجموعة الكروت المذكورة منذ بضع سنوات إلى قسم الآثار المصرية بمتحف اللوفر إحياء لذكرى خالته مارى كرينى التى ولدت فى فرنسا فى ٢٧ إبريل ١٨٦٨م وتوفيت فى ٢٧ فبراير ١٩٤٠وكانت متزوجة من عالم المصريات الفرنسى الشهير جورج اميل ديراسى.

وقد عين زوجها عالم المصريات الشهير جورج اميل ديراسى Emile Daressy ، نائبا لأمين متحف بولاق بالقاهرة عام ١٨٨٧م وآلت إليه مسئولية المحافظة على مجموعات آثار المتحف الفرعونية خلال تنقلاتها المختلفة، من متحف بولاق إلى قصر إسماعيل باشا فى الجيزة عام ١٨٩١م، ومن الجيزة إلى المتحف الذى أقيم فى ميدان التحرير عام ١٩٠٣م.

لم يقتصر عمل ديراسى على ضمان سلامة تلك القطع الأثرية، ولكنه تفرغ أيضا لاستكمال فك رموز ساحة معبد الأقصر التى بدأها ماسبيرو عام ١٨٨٥م، كما شارك فى الكشف عن مخبأ موميات كهنة آمون للأسرة الحادية والعشرين وذلك عام ١٨٩١م. وقد ساهم فى عام ١٨٩٢م فى حفريات شمال شرق معبد رمسيس الثالث فى مدينة هابو. كما أعاد الحياة لتمثال أمنحتب الثالث وزوجته تى الذى تم ترميمه، وهى المجموعة التى مازالت حتى الآن تحتل بهو المتحف المصرى بالقاهرة. نشر جورج اميل ديراسى أكثر من مائة وخمسين مقالة فى مجموعة مصنفات أعمال ماسبيرو، وفى نشرة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية، وفى السجلات السنوية الصادرة عن مصلحة الآثار وفى نشرة المعهد المصرى، وكذلك خمس مطبوعات مفهرسة لمحتويات المتحف المصرى وغيرها. وقد عين ديراسى أمينا

كارت بوستال كان يرسله صاحبه إلى نفسه للذكرى هذا هو فندق شبرد الذى أحرق فى يناير ١٩٥٢

العمارة والأزياء فى أحد الاحتفالات فى مطلع القرن العشرين

إحدى الفلاحات
المصريات يوم كان
الكارت بوستال
الوسيلة الوحيدة
للذكرى

جمع الكارت بوستال الأمهات والأطفال وتجمع فى واحد من أحياء القاهرة

كم كانت القاهرة جميلة يوم كانت تعزف الموسيقى فى حديقة الأزبكية

عاما لمصلحة الآثار المصرية عند نشوب الحرب العالمية الأولى وحتى إحالته إلى المعاش عام ١٩٢٣م، ثم غادرها إلى فرنسا حيث توفى عام ١٩٣٧م.

مجموعة الكروت البريدية

احتفظت مارى ديراسى بمجموعة من الكروت البريدية التى قامت باقتنائها هى وعائلتها أثناء إقامتها فى مصر وبقيت معها ثم آلت للعائلة بعد وفاتها، فقد كانت تلك المجموعة إلى جانب بعض أوراق الورد الجافة تمثل لها ذكرى جميلة للأيام السعيدة التى قضتها فى مصر.

وقد أثبتت الدراسة التى تمت على هذه المجموعة أن مارى ديراسى كانت شغوفة بجمع الكروت البريدية وبقدر سعادتها بتلقى تلك الكروت بقدر ما كانت تسر أيضا بإرسال الكروت البريدية لنفسها، فقد تم حصر عدد ستة وثلاثين كارتا بريديا كانت قد أرسلتهم باسمها من الإسكندرية فى ٢ ديسمبر عام ١٩٠٣، وكان بعضها يحمل توقيع مارى ديراسى، والبعض الآخر موقع عليه بأحرف اسمها الأولى (م. د.) والباقى مدون عليه فقط .مكان وتاريخ الإرسال. وتحمل معظم كروت تلك المجموعة الختم البريدى ويتراوح التاريخ المدون عليها ما بين عام ١٩٠٠م إلى ١٩١٤م، وتتضمن بعض الكروت رسومات منقوشة أو ملونة بالشف (ستنسيل)، وقد طبع واستنسخ معظمها بطريقة طبع النموذج وشفه باستعمال الأحبار الثقيلة، والبعض منها يمثل صورا فوتوغرافية.

كيف نشأت فكرة الكروت البريدية (الكارت بوستال) ؟!

بدأ فن التصوير الفوتوغرافى فى منتصف القرن التاسع عشر وبدأ تسويق الصور الفوتوغرافية وتطور مع انتعاش الحركة السياحية وخاصة إلى الشرق بسحره الخلاب.

ففى عام ١٨٦٢ على سبيل المثال عينت الملكة فيكتوريا المصور المشهور دى فرانسيس بدفورد ليلتقط اللحظات الهامة لرحلة أمير ويلز فى مصر، وفى عام ١٨٩٦ أمكن تخليد الرحلة السياحية التى قام بها إمبراطور النمسا إلى مصر بفضل التصوير الفوتوغرافى.

وقد اكتفى الأثرياء فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر بشراء صور فوتوغرافية، للمواقع التى يقومون بزيارتها ملتصقة على ورق مقوى قام بالتقاطها مصورون مشهورون ليقوموا بجمعها بعد ذلك فى ألبوم جميل مجلد بالجلد، يحمل الأحرف الأولى لأسمائهم، وتاريخ الرحلة ومطبوعة بحروف بارزة من الذهب الخالص.

ثم بدأت الكروت البريدية فى الظهور فى نهاية القرن وبدأ معها الاستعانة بالتصوير الفوتوغرافى كمادة لإنتاج هذه الكروت، وفى واقع الأمر ليس الكارت البريدى نصا نكتبه ونحن نفكر فى

بائع العرقسوس الذى كان منتشرا فى شوارع القاهرة أيام الصيف الحارة

تشكيل فى فراغ للسقايين يملأون قربهم وزلعهم لإرواء سكان القاهرة قبل دخول شبكة المياه

جمال الفن المعمارى الذى يظهر فى أجمل أشكاله فى «سبيل أم عباس» فى شارع الصليبة بالخليفة يوم كان بناء السبيل لرى العطش يسعى للقيام به الأغنياء فى القاهرة

الآخرين، وإنما هو شئ يتم اختياره ويحتوى على أشياء مسجلة نحبها فيؤدى بذلك دور الرسول، وفى بعض الأحيان لا تكون تلك الكروت ذكرى لمكان أو لمشهد أو للحظة سعادة فقط: وإنما هى أيضا شاهدة بلا شك على العصر الذى صدرت فيه وهى ليست دعما لتزيين أو لرسم ولكنها تكاد تكون مرآة لأنفسنا، ولرغباتنا وخيالاتنا فتبدو وكأنها مراسلة ورسالة فى آن واحد.

فالكروت البريدية خلق لإبداع حر وشعبى متعدد الاستحضارات والإمكانيات ظهرت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فهى كالذياع والهاتف تصل الناس بعضهم ببعض كالإنترنت فى أيامنا هذه.

إن تاريخ أول الكروت البريدية غير معلوم بالتحديد، ولكنه يرجع إلى ما قبل عام ١٨٥٦م، حيث بدأ ظهور اتجاه عام لاستعمالها. وانتشرت ظاهرة استخدام الكروت، وبدا استخدامها فى بريطانيا العظمى وفى الولايات المتحدة الأمريكية وفى ألمانيا فلم تكن المسألة مجرد إنتاج الصور الفوتوغرافية، وإنما كانت عملية تقوم على تزيين الرسالة بالرسوم واللجوء للطباعة الليتوجرافية وكذلك استعمال الألوان والأصباغ فى إنتاج هذه الكروت.

وفى عام ١٩٠٠م انتشر استعمال الكروت البريدية انتشارا واسعا وبدأ العصر الذهبى لها. ففى فرنسا وحدها بلغ عدد الرسائل بطريق الكروت حوالى مائة ألف كارت بريدى، وانتشرت الكروت البريدية المزينة بمشاهد ومناظر من مصر فى كل الأنحاء حتى فى فرنسا، كما يوضح ذلك الكارت الذى أرسلته السيدة/ باراز إلى مارى ديراسى يوم ٣ يونيو عام ١٩٠٤م ضمن مجموعة الكروت، الذى كتبت فيه: «عزيزتى مارى: هل تعرفت على هذا الكارت (عن مصر)؟ وهل تتصورين أنه يباع بمدينة روى بفرنسا.

مشروع إنتاج «وصف مصر في أوائل القرن العشرين»

بدأت فكرة إنتاج اسطوانة ضوئية تحتوى على هذه الكروت بعد أن ألقت السيدة/ ديان صاروفيم هارليه، عالمة المصريات بقسم الآثار المصرية بمتحف اللوفر، محاضرة عن مجموعة الكروت البريدية المذكورة والتى تتولى مسئولية حفظها بالمتحف، وقد ألقت هذه المحاضرة فى المركز الثقافى المصرى فى باريس ومن ثم فقد رأى كاتب هذا المقال مندوب جمهورية مصر العربية الدائم لدى منظمة اليونسكو آنذاك، أن تلك المجموعة تمثل قيمة تاريخية وتراثية كبيرة وذلك نظرا لما تحتويه من وصف مصور لمصر فى بدايات القرن العشرين، وتظهر بوضوح تشابها مع الوصف الذى جناء من قبل فى بداية القرن التاسع عشر تحت عنوان «وصف مصر» لحملة نابليون.. وهو ما يفسر إعادة استخدام العنوان ذاته للعمل

الجديد، وتخصيص باب خاص للوصف المقارن لمصر من خلال مجموعة من الكروت يرجع تاريخها إلى ما قبل قرن من الزمان، بينما يرجع الوصف الأصلى لما تتضمنه هذه الكروت إلى ما يقرب من مائتى عام فتم تنفيذ الفكرة فى إطار برنامج «ذاكرة العالم».

ويهدف برنامج «ذاكرة العالم» بمنظمة اليونسكو إلى الحفاظ على التراث الوثائقى العالمى ليصبح فى متناول يد الجميع وبلا تفرقة، ويهدف كذلك إلى إيقاظ الوعى بأهمية هذا التراث وضرورة المحافظة عليه هذا إلى جانب أهداف تكميلية لا تقل أهمية عن الأهداف السابقة وهى:

* تسهيل حفظ التراث الوثائقى العالمى بالتقنيات الملائمة.

* العمل على أن يكون الوصول إلى التراث الوثائقى مكفول للجميع بدون أى تفرقة أو تحيز لمستعمل، أيا كان على حساب الآخر.

* العمل على إيقاظ الوعى فى جميع أنحاء العالم بوجود هذا التراث وبأهميته وبضرورة المحافظة عليه.

* تحسين الأنشطة والمنتجات التى يقدمها لأعرض قاعدة ممكنة والعمل على تطويرها.

ويحدد برنامج «ذاكرة العالم» عناصر التراث الوثائقى ذات الأهمية العالمية والإقليمية والقومية كما يحدد قائمة الوثائق والمستندات التى تحتوى على جزء من الذاكرة الجماعية للعالم ويحرص على تحديثها باستمرار وإيجاد علامة مميزة لذاكرة العالم يمكن استعمالها لتعريف تلك الوثائق، كما يقوم برنامج «ذاكرة العالم» بحملات قوية لتوعية الحكومات والجمهور العريض وتنبيههم إلى أهمية التراث العالمى وضرورة الحفاظ عليه.

محتويات مجموعة الكروت البريدية

عند بدأ فحص هذه المجموعة من الكروت كانت هناك صعوبة فى كيفية التعامل معها وتصنيفها. ولكن كما ذكرنا سالفا فإنه نظرا لوجود تشابه فى الفكرة بينها وبين ما جاء فى كتاب «وصف مصر» لحملة نابليون فقد تم الاستعانة بصفة مبدئية بطريقة التبويب التى جاءت فى هذا الكتاب. ومن ثم فقد تم تبويب هذه المجموعة من الكروت بتقسيمها إلى خمس مجموعات رئيسية.

المجموعة الأولى: المهن والحرف والأفراد:

ويدخل تحت هذا الباب مجموعات عن كل من الحرف المختلفة الواردة فى هذه الكروت مثل البائعين والحلاقين والسقايين والسياس والحمارين والجمالين وخلافه، وكذلك صوراً مختلفة للرجال وصورا مختلفة للسيدات من حاملات البلاص، ولسيدات قبائل البشارية، ولسيدات بدويات إلى آخره.

المجموعة الثانية: صور الآثار الفرعونية:

فتاة بدوية يمتلئ وجهها بالتحدى

وهى مقسمة إلى ستة موضوعات: الأهرامات والمعابد والمقابر والأبراج والشواهد والتماثيل الفرعونية.

المجموعة الثالثة: صور الآثار الإسلامية والقبطية

وهى مقسمة إلى ثمانية موضوعات: المساجد والكنائس والاسبلة والبوابات والبيوت والمدارس والقلاع الإسلامية ومقياس النيل.

المجموعة الرابعة صور المبانى العامة

وهى مقسمة إلى تسعة موضوعات: المبانى العامة وألمتاحف والثكنات العسكرية والقلاع والمدارس ومحطات السكك الحديدية والفنادق والقصور والتماثيل العامة.

والمجموعة الخامسة وهى الأماكن العامة :

وهى مقسمة إلى ثمانية موضوعات الميادين العامة والأسواق والقرى والكبارى والمقابر والحدائق العامة والأنهار والمناظر العامة البانورامية.

وفى الواقع فإن التجوال فى هذه المجموعة الفريدة يعود بالمشاهد على الفور إلى عصور قديمة جميلة وتثير العديد من الشجون وخاصة صور الميادين والأماكن العامة، فهذه صورة ميدان الأوبرا حيث يقف تمثال إبراهيم باشا وخلفه دار الأوبرا القديمة وهذا فندق شبرد القديم الذى عاصر العديد من الأحداث التاريخية ثم ذلك فندق سميراميس حيث قضينا شبابنا بين كافتيريا «نايت أند داى» وبين سطوحه الجميل الذى يطل على النيل، وهذا شارع الهرم خاليا من المبانى ومحاطا بالمزارع ويسير فيه الترام وعن بعد تظهر الأهرامات شامخة.

وهذه ثكنات قصر النيل آخر معقل للإنجليز فى القاهرة وهذا كوبرى قصر النيل القديم وعلى مدخله أيضا الأسدان الشهيران وهذا مسجد السلطان حسن وليس بجواره مسجد الرفاعى وهلم جرا.

وأما صور المبانى الأثرية الفرعونية فهى دراسة حقيقية لتطورها على مر العصور خصوصا ما جاء منها فى كتاب وصف مصر ثم ما ظهر من نفس المبانى فى هذه الكروت، وأخيرا صورة هذه المبانى اليوم. وأكبر مثل عملى على ذلك هى صورة أبو الهول فى كتاب وصف مصر وهو مغطى تماما بالرمال ماعدا رأسه ثم يظهر فى هذه الكروت فى أوائل القرن الماضى وقد أزيلت الرمال من مقدمته حتى بدأت تظهر يديه ولكن بقيت الرمال حول جسمه، وصورته اليوم وهو خال من الرمال من جميع الجهات، وكذلك صورة معبد الأقصر فى كتاب وصف مصر وقد ظهرت على جانبيه المسلتين الشهيرتين لرمسيس الثانى ثم اختفت إحدى هاتين المسلتين فى كروت أول القرن الماضى بعد أن تم نقل المسلة اليمنى إلى

بائع الفوانيس التى تنتشر فى حوارى القاهرة بين أيدى الأطفال فى شهر رمضان المعظم

بائع الفخار أحد الأعمال الفنية الجميلة الذى يظهر فيه المصريون ميولهم الفنية

بعض الأعمال الفنية التى تمتعت بها المرأة المصرية فى ممارسة العزف والغناء

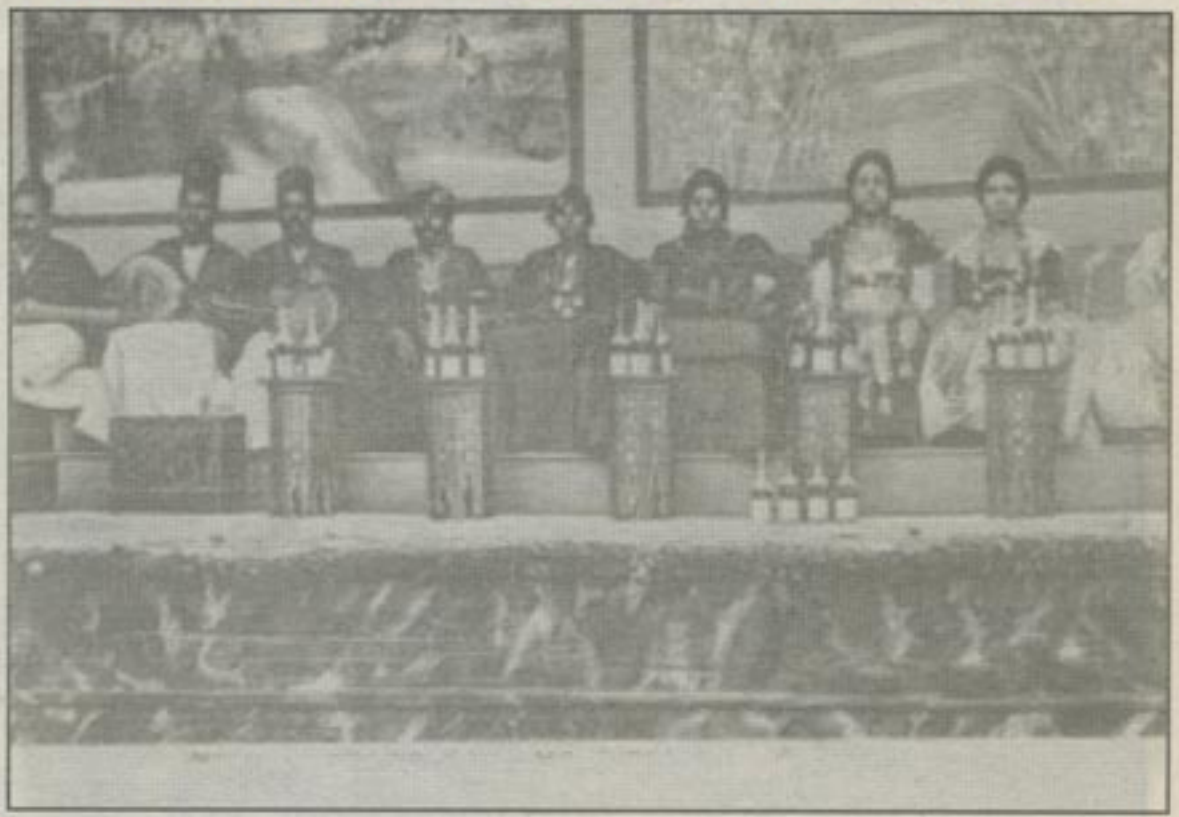

هل تصدق.. هكذا كانت أزياء بعض النساء المصريات فى مطلع القرن، وهى ذاتها اليوم الموضة فى بعض العواصم الأوربية؟

ميدان الكونكورد بباريس ثم صورة المعبد اليوم وقد تم ترميم أجزاء كثيرة منه.

وأما الوجوه المصرية فى مجموعة الكروت فهى بحق دراسة حقيقية للشخصية المصرية فى أوضاع مختلفة من بائعين إلى مدرسين كتّاب إلى أفراد مهن مختلفة من سقايين وحمارين ونجارين وخلافه إلى احتفالات الزواج والمحمل والموالد وخلافه، إنها بحق مجموعة ممتعة من الكروت البريدية تمثل وصفا لنواحى الحياة المختلفة فى مصر منذ قرن من الزمان، كما تعكس أيضا عشقا لصاحبى هذه المجموعة للبلد التى قضوا فيها حوالى عشرين سنة من حياتهم وولعوا بها شأنهم شأن أى زائر أجنبى عاش بها لفترة وشرب من نيلها وفتن بسحرها.